(8-32)

الدولة الفلسطينية في السياسة الخارجية الأمريكية
مؤتمر جنيف بين السد والجسر

على الرغم من كل التطمينات التي طرحها كارتر - لبيجن من أجل التحول للدور الاستراتيجي الجديد للكيان الصهيوني في إطار الحل الشامل، إلا أن بيجن كان يدرك أن طبيعة بنية الكيان الصهيوني وفسيفساء تركيبته الديمغرافية والنفسية تجعله يتحول إلى كيان هش في أي حالة استقرار وسلام تغيب فيها حالة التوتر التي تشد أواصر الكيان وتفرض على سكانه التلاحم والتعاضد وتغطي على التناقضات الداخلية في مواجهة الخطر الدائم، ناهيك عن قناعة بيجن أن ميلاد الوطن الفلسطيني بأي شكل من الأشكال سيكون المسمار الأول في نعش الكيان الصهيوني، ولهذا لم يستطع بيجن أن يساوم على مفهوم الأمن كما يراه، حيث لا الضمانات الدولية ولا الأساطيل الأمريكية يمكن أن تحمي الكيان الصهيوني، كما أن بيغن يصر على حق إسرائيل في وجود أمني وراء حدودها النهائية، وقد أصر بيغن بشدة على رفض فكرة إنشاء دولة فلسطينية أو كيان فلسطيني أو وطن فلسطيني في الضفة الغربية، وفي محاولة منه لمسايرة كارتر في خطته للسلام تقدم بيجن باقتراح إجرائي لعقد مؤتمر جنيف.

وكان الاقتراح يتضمن أربع نقاط رئيسية:

1. أن المؤتمر يجب أن يعين انعقاده كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ويجب أن يدار طبقاً للقرار 338 " ووافق بيغن على ان القرار 338 يتضمن القرار 242، وبذلك فهو قابل بالاستطراد مبدأ الانسحاب رغم انه كما سنرى فيما بعد ليس على الجبهات كلها".
2. المشاركون يجب ان يكونوا الدول المعنية ذات السيادة لا منظمة تحرير فلسطينية ولا وفد عربي فلسطيني.
3. يجب ان لا تكون على المؤتمر شروط ولا التزامات مسبقة، اي ان اسرائيل لن تلزم نفسها باي انسحاب ثمناً للمشاركة العربية.
4. المفاوضات يجب ان تكون وجهاً لوجه. ورئاسة لجان او مجموعات العمل يجب ان تكون مداورة

بين الوفدين المشاركين، بمعنى ان الامريكيين والسوفييت لن يكونوا وسطاء في اللجان حيث ستجري المفاوضات الفعلية، وان المشاركة في اللجان ستكون ثنائية بين اسرائيل وكل من الدول العربية ولا مجال لوفد عربي واحد. وبعد ان تنتهي اللجان من التفاوض على معاهدات يعود المؤتمر للانعقاد فقط بغرض توقيعها[20].

بدأ كارتر يدرك ان الوسيلة الوحيدة للضغط على بيجن هي انتزاع التنازلات من الاطراف العربية. ولكنه كان يخشى ان يفقد مصداقيته تجاه العرب ان هو خضع كلياً لابتزاز بيجن. ولذلك قرر ان يرسل فانس ليقوم بجولة شاملة لمنطقة الشرق الاوسط حاملاً معه برنامج النقاط الخمس الذي كان قد بحثه مع بيجن وهو ما يعتبر بالنسبة للادارة الامريكية ضرورياً لاية تسوية حيث انه عالج القضية من كل جوانبها دافعاً باتجاه المؤتمر الدولي ودور الفلسطينيين في عملية التسوية وتتلخص هذه النقاط كما يلي:

1. أن الهدف من المفاوضات هو تحقيق تسوية سلمية شاملة تتوج باتفاقيات سلام.
2. يكون قرار مجلس الامن 242، 338 اساساً للمفاوضات.
3. إقامة علاقات سلام طبيعية بين "اسرائيل" وجيرانها العرب.
4. انسحاب تدريجي على جميع الجبهات الى حدود آمنة ومعترف بها مع ترتيبات وضمانات امن.
5. الدعوة الى اقامة كيان فلسطيني "وليس دولة" والى ترتيبات يقرر بها الفلسطينيون وضعهم في المستقبل.

لم تثر النقاط الثلاث الا ولى اي خلاف بين بيغن والادارة الامريكية. ولكنه وقف بعناد في وجه النقطة الرابعة التي تدعو الى الانسحاب على جميع الجبهات ... كما انه لن يناقش فكرة كيان فلسطيني، مؤكداً ان اقامة هذا الكيان سيؤدي حتماً الى قيام دولة فلسطينية همها تدمير اسرائيل.

وحاول فانس اجراء تعديلات، اخذاً بعين الاعتبار تعليقات بيجن وناقش مع السفير الاسرائيلي سيمحا دينتس الشكل النهائي الذي سيقوم بعرضه على الزعماء العرب خلال جولته المرتقبة بما فيها المبدأ الخامس الخاص بالكيان الفلسطيني والذي رفضه بيجن تماماً. ويقول فانس (ناقشت مع دينتس اربعة بدائل اعددناها فيما يتعلق بالتمثيل الفلسطيني في جنيف وكانت:

1. فلسطينيون، منهم اعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية، يضمهم احد الوفود العربية، كالوفد الاردني.

2. فلسطينيون، منهم اعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية، يضمهم وفد عربي موحد.
3. اتفاق عربي-اسرائيلي مسبق على انه عندما تثار المسألة الفلسطينية في جنيف ينضم ممثلون فلسطينيون الى المناقشات.
4. اتفاق عربي-اسرائيلي مسبق على انه عندما تثار المسألة الفلسطينية في المؤتمر يجري التفاوض على شروط المشاركة الفلسطينية[21].

كان وضع الامريكان البديل الاول مزعجاً لبيجن. فمجرد ذكر منظمة التحرير في احد البدائل كان كفيلاً بالغاء البدائل الاخرى. وهذا ما دفع بيغن لتوجيه دينتس لابلاغ فانس انه عندما وافق على مبدأ الانسحاب من الاراضي المحتلة فانه لا يعني الانسحاب على الجبهات كافة. وان لدى بيغن خطة للحل لموضوع الضفة الغربية دون الانسحاب منها. ولم يكن الغضب الذي ساور فانس نتيجة الموقف الاسرائيلي المراوغ هو نهاية المطاف، فقد تسلم وهو يعد حقيبته للسفر في اليوم التالي اشارة من الرئيس كارتر تتضمن ما كتبه بيغن الى الرئيس (طالباً ان لا يسمح لفانس بالحديث مع القادة العرب عن حدود 1967 مع تعديلات طفيفة. وتساءل .. ماذا سيتبقى لنا للتفاوض عليه؟)[22].

كان بيغن يحاول ان يربك تحركات السياسة الامريكية على الصعيد العربي، وذلك ليضمن الامساك باوراق اللعبة مستنداً بذلك الى القوى الامريكية المساندة لاسرائيل من جهة، وانصار الحرب الباردة اعداء الاتحاد السوفييتي من جهة اخرى. ولكنه عندما بدأ يتدخل في الشؤون الامريكية الخاصة اثار حفيظة فانس الذي قرر التمسك بالقضية المبدئية، وعندما وجد دعماً من الرئيس توجه الى الشرق الاوسط مسلحاً بمشروع النقاط الخمس والبدائل الاربعة المتعلقة بتمثيل الفلسطينيين.

كان التوجه الامريكي لجر المنظمة الى الحوار يتطلب اعترافها بالقرار 242 وكان فانس يدرك ان القرار ليس فيه ما يتعلق بالمنظمة او بالشعب الفلسطيني من حيث النص. فهو يتحدث عن "تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين". ومن المنطقي ان لا يقبل الانسان بشيء لا يعنيه. ولهذا كان التوجه الامريكي لازالة قيود كيسنجر عن الحوار الامريكي مع المنظمة ان تقبل المنظمة القرار 242 مع التحفظ بانه لا يتعامل تعاملاً سليماً مع المسألة الفلسطينية، وقد لعب السعوديون دوراً هاماً في محاولة الوصول الى صيغة ملائمة.

كانت الصيغ المقترحة لفانس من مصر تتضمن المطالبة بدولة فلسطينية وهو ما رفضه لعدم انسجامه مع توجهات الادارة الامريكية .. وبعد زيارته لسوريا والاردن قام فانس بوضع مشروع امريكي

لصيغة تصريح فلسطيني عرضه على الملك خالد والامير سعود وكان على الشكل التالي: (ان منظمة التحرير الفلسطينية تقبل قرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة رقم 242، مع التحفظ بانها تعتبر ان القرار لا يشير اشارة سليمة الى مسألة الفلسطينيين لانه يقصر عن الاتيان بأي اشارة الى وطن للشعب الفلسطيني، ومن المفهوم ان لغة القرار 242 تتصل بحق جميع دول الشرق الاوسط في ان تعيش في سلام .. وسأل الملك خالد، في حالة ما اذا فعلت منظمة التحرير الفلسطينية ما نطلب، هل نستطيع ان نؤكد لهم انهم سيحصلون على وطن في الضفة الغربية. فاجبت بان هذا هو هدفنا. لكننا لا نستطيع ان نضمنه)[23].

كان من الطبيعي ان ترفض قيادة المنظمة تلك الصيغ التي تستهدف تجريدها من اسلحتها السياسية تمهيداً لتصفيتها. وكان رد الفعل الواضح على تحركات فانس في حديث للاخ ابو عمار امام مقاتلي الثورة قال فيه:

(بلا شك، المنطقة العربية تمر في مرحلة صعبة وبمنعطف خطير، لان المحاولات الامبريالية الصهيونية تحاول تركيع امتنا العربية ووضعها ضمن دائرة تقودها الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية، وفي نفس الوقت، تسعى الى تركيع الثورة الفلسطينية والقضاء على كل امل للشعب الفلسطيني في العودة الى ارض وطنه، اما بتصفيتها او تحجيمها او احتوائها.

لقد جاء فانس الى المنطقة ومعه شروط بيغن التي يحاول ان يفرضها على الا مة العربية، واقتراحات بيغن يقول فيها:

- لا للشعب الفلسطيني.
- لا لمنظمة التحرير الفلسطينية.
- لا للدولة الفلسطينية.

نحن نقول لبيغن ومن يقف وراء بيغن. الثورة لن تركع.

لماذا يقول فانس، ان المشكلة الصعبة في ازمة الشرق الاوسط هي الفلسطينيون؟. لان البندقية التي يحملها هذا الشبل هي المشكلة الصعبة، الثورة الفلسطينية هي العقبة الاساسية، على حد قولهم، لاننا نحن الرقم الاساسي في هذه المعادلة التي لا يستطيع كائناً من كان ان يقفز عنه.

المؤامرة، تسعى في ذات الوقت لتجاوز تمثيل م. ت. ف. للشعب الفلسطيني، بواسطة خلق البدائل

المهزوزة العميلة، وجاءت اللطمة لهذه المحاولات من رؤساء البلديات حين اجتمعوا في رام الله وقالوا: منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد لشعبنا الفلسطيني اينما وجد، هذا تعبير عن الصلة النضالية بين شعبنا في كل مكان، وبين هذه البندقية الثائرة التي تحاول المؤامرات القفز عليها وتحاول تصفيتها)[24].

استمرت اثار زيارة فانس ومحاولات الضغط على المنظمة للا عتراف بالقرار 242 بالصيغة الامريكية. ويشير بريجنسكي في كتابه القوة والمبدأ عن استمرار الادارة الامريكية والرئيس شخصياً وحتى السيدة الاولى رازولين التي لعبت دوراً في الاتصالات غير الرسمية مع عرفات عبر وسيط امريكي لامع ومختص في شؤون التربية حيث تم من خلاله نقل عدد من الرسائل غير الرسمية من والى عرفات وكارتر وادارته.

(في الاسبوع الاخير من شهر اب تسلمت الادارة رسالة م. ت. ف. عشية انعقاد المجلس المركزي لـ م. ت. ف. في دمشق، تتضمن استعداد رئيس م. ت. ف. ياسر عرفات لتخفيف شروطه لقبول القرار 242 وانه سيوافق على 242 اذا التزمت الولايات المتحدة بضمان دور م. ت. ف. في المفاوضات المقبلة. كان حذراً واشار على الرسالة ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تشهد ان م. ت. ف. تمثل الفلسطينيين كما طلب عرفات)[25].

ولم يتوقف العجز الامريكي على عدم القدرة على تخفيف مطالب المنظمة، وانما ايضاً على عدم القدرة عن منع اقامة المستوطنات التي كان بيغن يرى انها السبيل الوحيد لارباك السياسة الامريكية، فهي من شأنها ان تزيد المنظمة تمسكاً بموقف الحد الاعلى انطلاقاً من شعورها بعجز الولايات المتحدة على ان تفرض على اسرائيل اي حل ترفضه الاخيرة. وقد كتب بريجنسكي قائلاً: (مع الا سف فقد تشبثت م. ت. ف. بالحد الاعلى من مطالبها الى درجة ان طالبت بضمانات اضافية من الولايات المتحدة بما فيها الاعتراف. وقابلت الوسيط واكدت له ان "النقطة الاساسية التي ارغب ان ينقلها لعرفات هو ان استعدادنا للحديث معه هو في حد ذاته تنازل كبير وان عرفات لا يملك سبباً يدفعه للاصرار على ضمانات اضافية من قبلنا مقابل التصريح الذي يرغب ان يصدره بصدد قرار مجلس الامن 242")[26].

كان رد الفعل الفلسطيني على موقف الرئيس كارتر وبريجنسكي المزيد من التمسك بالخط الاستراتيجي، ورفض الانسياق في تكتيكات تملك فيها الامبريالية والصهيونية الاوراق الاقوى .. ولهذا جاء بيان المجلس المركزي في 25/8 مخيباً لآمال الولايات المتحدة. فقد جاء فيه ان المجلس (استعرض سائر

التطورات الاخيرة على الصعيدين العربي والدولي بما فيها زيارة فانس وزير الخارجية الامريكية وما حملته من مشاريع معادية للحقوق الثابتة والوطنية لشعبنا، وما رافق هذه الزيارة ولحقها من اجراءات صهيونية باتجاه الضم والالحاق للمناطق المحتلة واستمرار سياسة سلب الارض والاستيطان في تحديها للرأي العام الدولي والامة العربية كلها) .. وقد انتهى المجلس الى ما يلي:

1. شجب جميع المناورات الامريكية والصهيونية الهادفة الى الالتفاف حول حقوق شعبنا في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني. وتمثيل شعبنا المستقل والمتكافئ تحت قيادة م. ت. ف. ومن هذا المنطلق يؤكد المجلس رفضه لكل محاولة تستهدف النيل من قرارات المجلس الوطني الفلسطيني والمساس بالموقف العربي، كما تحدد في قرار قمتي الرباط والقاهرة تجاه حقوق شعبنا وتمثيله والالتزام القومي العربي بالقضية الفلسطينية.
2. تأكيد قرارات المجلس الوطني التي اتخذها في دورته الاخيرة من خلال البرنامج السياسي للنقاط الخمسة عشر، وخاصة فيما يتعلق بالقرار 242 الذي يتجاهل حقوق شعبنا الوطنية ويتعامل مع قضيتنا كقضية لاجئين)[27].

وبدأت الادارة الامريكية تبحث عن طريقة تكسر فيها الجمود وتفتح ثغرة في الحائط المسدود. كان الرئيس كارتر قد اعلن بوضوح اثناء لقائه مع دايان في 19 سبتمبر 1977 ان اسرائيل تتشبث بمواقف جامدة في حين يتمتع العرب بمرونة اكبر، وكان موضوع المستوطنات يشكل عقبة رئيسية في وجه فعالية السياسة الامريكية وتكتيكاتها مع العرب، كما ان جمود الموقف يضعف احتمالات عقد مؤتمر جنيف ويبدد امال التسوية الشاملة. وقبل ان ينتهي لقاء كارتر دايان قال الاخير في معرض تسهيله لانعقاد مؤتمر جنيف بمشاركة وفد عربي موحد (احب ان اقترح ان لا يعرف العرب ان فكرة الوفد الموحد التي تم بحثها جاءت من اسرائيل. وانه يقترح بالمقابل ان يقال لهم ان الولايات المتحدة يمكن ان تحاول اقناع اسرائيل للقبول بوفد كهذا. "اذا عرفوا ان الاقتراح جاء منا فانهم بالتأكيد سيرفضونه. عليكم ان تقولوا لهم اننا نرفض وبعدها يمكنكم محاولة فرضه علينا" وقد وافق الرئيس وفانس على اقتراحه)[28].

بعد يومين من لقاء كارتر دايان حصل لقاء كارتر مع اسماعيل فهمي في 21 ايلول 1977، وحيث ان السادات كان دائم التصريح والتلميح بان 99 من اوراق الحل هي في يد امريكا وانها القوة الوحيدة القادرة على الضغط على اسرائيل، فان مدخل حديث فهمي مع كارتر انصب حول هذه القضية، مما جعل كارتر يعقب قائلاً (ان الرئيس السادات طلب مني مراراً ممارسة ضغوط كبيرة على اسرائيل

ولكنني اريد ان تعرف انني لا استطيع ان افعل ذلك، لانه سيكون انتحاراً سياسياً شخصياً بالنسبة لي) [29].

وطرح كارتر على اسماعيل فهمي فكرة الوفد العربي الموحد باعتباره يسهل الطريق امام مشاركة سوريا والاتحاد السوفييتي، وانطلاقاً من اتفاقه مع دايان قال كارتر:

(في رأيي ان وفداً عربياً موحداً هو افضل صيغة للتغلب على الخلافات العربية ويجب ان يتضمن ذلك الوفد ممثلين للفلسطينيين او منظمة التحرير الفلسطينية بشرط الا يكونوا شخصيات قيادية مشهورة في تلك المنظمة)[30].

في رسالة من كارتر الى الاسد وانسجاماً مع سياسته بالدفع باتجاه مؤتمر جنيف وانطلاقاً من اهمية الدور الذي سيلعبه الاتحاد السوفييتي كرئيس مشارك لمؤتمر جنيف واهمية تأثير الاسد على تغيير موقف منظمة التحرير تجاه القرار 242 قال كارتر ان هذا سيساعد (على خلق عملية تفاوض وارضية يمكن عبرها استخدام التأثير الامريكي بصورة بناءة ... ونحن بالطبع غير قادرين ان نضمن بدقة كيف سيعالج الموضوع الفلسطيني في المفاوضات .. ولكنني استطيع ان أؤكد ان حكومتي تعتقد انه يجب ان يتمثل الفلسطينيون في جنيف وانهم يجب ان يشاركوا في صياغة مستقبلهم انسجاماً مع قرار الامم المتحدة 242 وحق تقرير المصير) ويضيف وليام كوانت (استطرد كارتر طالباً من الاسد دفع منظمة التحرير الفلسطينية لقبول(242)مع التحفظ، وهذا سيسمح بالاهتمام الكامل بوجهات نظر م. ت. ف. في جنيف)[31].

لم يتوان كارتر عن بذل جهده مع كل الاطراف العربية من اجل تأكيد فعالية الخط السياسي الذي ينتهجه بوصفه احد ابرز رموز مدرسة الاقليميين. وكان يعتقد انه قادر على تحقيق ذلك لو قبلت منظمة التحرير ان تتجاوب مع اطروحته للحل الشامل، فهو في حين لم يوافق على استخدام بيغن لتعبير جوديا وسماريا لما يحمله ذلك من معنى الضم، فانه كان يرفض الموافقة على الدولة الفلسطينية المستقلة، وكان يعتقد انه يغامر جدياً بمستقبله السياسي حين يتبنى الحل العادل لقضية الشعب الفلسطيني ولقد قال في حديث مع اسماعيل فهمي:

(اود ان اكون واضحاً لاعلن انني كرئيس للولايات المتحدة قد تجاوزت بالفعل مواقف اسلافي، ودعني اوجز ما انا على الاستعداد لقبوله:

1. يجب على اسرائيل ان تنسحب الى حدود ما قبل تاريخ 1967 باستثناء تعديلات طفيفة.

2. يجب ان يكون للفلسطينيين وطن قومي. ومن الواضح ان هذين العنصرين ايجابيان بالنسبة للعرب لكنهما سلبيان بالنسبة لاسرائيل.
3. إنني اتحدث عن سلام حقيقي وليس مجرد انهاء حالة الحرب.
4. إنني على استعداد للاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية وقد اظهرتم انتم والسعودية استعدادكم للمساعدة في ذلك)[32].

وفي غمرة مساعي كارتر للبحث عن السلام جددت اسرائيل اعتداءاتها على لبنان مما ازعج الادارة الامريكية لدرجة اضطرت كارتر ان يوجه رسالة قاسية تحذر اسرائيل من الاستمرار في عدوانها، وتهدد بقطع جميع مساعدات امريكا العسكرية لاسرائيل اذا لم تتوقف فوراً عن عملياتها العسكرية. وقال بريجنسكي للرئيس الذي سأله عما اذا كانت قاسية ام لا بانه يتفق معه وقال (انه سيراجعها ثانية مع فانس وسيعود له بالصيغة النهائية ليعتمدها. وتشبث فانس بالرسالة ووافق عليها الرئيس. وفي صباح اليوم التالي كان باستطاعتي ان اخبر الرئيس ان بيجن قد امر جحافله بالانسحاب من لبنان وقد شجعتني هذه الحادثة كثيراً، فقد شعرت انها تشير الى ان الموقف الحازم والواضح من الولايات المتحدة يمكن ان يدعم هذا اذا عززناه نحن بالاصرار والثبات)[33].

من الطبيعي ان ينصاع قادة الكيان الصهيوني للادارة الامريكية خاصة عندما يكون الموضوع غير قابل للمساندة من قبل انصار اسرائيل في الكونغرس ... فالاعتداء على لبنان كان امراً غير مبرر، ولكن من سوء حظ بريجنسكي، انه ليست كل المواقف الحازمة والواضحة من الولايات المتحدة يمكن ان تدعم، فانصار الحرب الباردة امثاله اول من وقفوا عملياً لمساندة اسرائيل في مواجهة البيان الامريكي السوفييتي المشترك بين فانس وغروميكو. لم يكن قد مضى اسبوع واحد على انصياع بيجن لارادة كارتر فاذا بكارتر يتراجع ويضطر الى اصدار بيان مع دايان ينسف ما اتفق عليه فانس وغروميكو. ويبدو آثار هذا الموضوع وتراجع كارتر العلني كان له اثر كبير على سياسة السادات وتحوله من جنيف الى القدس، لقد اشار بريجنسكي انه (على العكس من الصحافة والتقارير الاسرائيلية، فان السادات رحب في البداية بالبيان الامريكي السوفييتي الصادر في الاول من اكتوبر، وقد اخبر سفير الولايات المتحدة هيرمان اليتس انه كان ضربة معلم لانه سيضغط على السوريين ليكونوا اكثر اعتدالاً، ولكن فيما بعد اصيب باهتزاز من الطريقة التي تراجعت فيها الولايات المتحدة نتيجة الهجوم على البيان محلياً ومن اسرائيل)[34]

وقد تعززت لدى السادات قناعته الجديدة بان اهم وسائل الضغط الامريكي على اسرائيل هو انتزاع المزيد من التنازلات من العرب، عندما تسلم رسالة خطية من كارتر الاسبوع الثالث من اكتوبر (يرجوه ان يقوم بحركة رجل دولة تكون جريئة وتساعد على التغلب على العقبات في طريق جنيف، ويبدو ان السادات فهم هذا الامر على انه اعتراف بالضعف المحلي للرئيس وانه مؤشر لطلب مبادرة مصرية تكسر حالة الجمود ومن الواضح ان السادات حمل رسالة كارتر الخطية مدلولات كثيرة مفسراً اياها بانها نتاج اليأس وانها تطالب السادات باثبات صداقته)[35].

ومن الجدير بالذكر ان فانس قام بعرض مشروع البيان الامريكي السوفييتي على دايان قبل اعلانه في الاول من اكتوبر (واحجم دايان عن اي رد فعل ... ربما متعمداً)[36] على حد قول بريجنسكي، في حين يشير دايان الى هذه الحادثة في كتابه انا وكامب ديفيد بقوله (في التاسع والعشرين من ايلول، سلمنا الوفد الامريكي وثيقتين احداهما "ورقة عمل" تتناول مؤتمر جنيف. والثانية تتناول مسودة اعلان مشترك بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي حول سياسة الشرق الاوسط. فقد اجتمع الوفدان في اليوم التالي وطلب الينا توضيح رد فعلنا فقلت، معارضتنا لوفد يتألف من الدولتين العظميين وخصوصاً فحوى هذا الاعلان المشترك)[37].

وحول خلفية البيان الامريكي السوفييتي المشترك والموقف السوفييتي من القضية الفلسطينية كتب بريجنسكي يقول(قدم فانس تقريراً على ارضية محادثاته مع دوبرنين ان الموقف السوفييتي اصبح بشكل ما اكثر اعتدالاً وان السوفييت لم يعودوا يصرون على دولة فلسطينية مستقلة ... "ويضيف بريجنسكي" قام السوفييت متشجعين بحوار فانس دوبرنين بمبادرة بتقديم مسودة معتدلة نسبياً لتصريح عام حول السياسة تجاه الشرق الاوسط لتخدم كاساس لاستئناف مؤتمر جنيف، وقد جرت المباحثات على المستوى التقني مع السوفييت في وزارة الخارجية علما اننا في ذلك الوقت كنا في البيت الابيض لا نعرف شيئاً)[38].

ويشير دايان الى الموضوع بطريقة مغايرة حيث يقول (كما بدا واضحاً بالنسبة لي ان هنا ربطاً مباشراً بين ورقة العمل الجديدة والوفد الامريكي السوفييتي المشترك وخصوصاً بعد ان اعطاني فانس بعض التفصيلات حول الموقف من اتفاقية السلام. فقد وافق السوفييت على ان يكون هناك تطبيع كامل للعلاقات بين اسرائيل والعرب على اساس انسحاب اسرائيل حتى حدود 1967 وان تقام دولة فلسطينية وان يظهر العرب في مؤتمر جنيف كوفد موحد)[39].

كان السادات يعتقد ان الوفد الموحد سيشكل قيداً كبيراً على تحركات مصر وقدرتها على التفاوض، خاصة بعد ان شاهد اهتزاز هيبة الادارة الامريكية امام ردة فعل الرأي بين مؤيدي اسرائيل على البيان الامريكي السوفييتي فقد اتهمت الصحافة الادارة بانها تعيد ضخ النفوذ السوفييتي ثانية الى الشرق الاوسط.

كان البديل امام السادات ليس مجرد القيام بحركة جريئة كما طالب كارتر في رسالته الخطية وانما القيام "بضربة معلم" خارقة للعادة، وتفتق ذهنه عن فكرة ارسلها مكتوبة الى كارتر مستطلعاً رأيه، يقول بريجنسكي (جاء رد السادات بعد اسبوع وقد صعقنا جميعاً) ويضيف (كان اقتراح السادات لا شيء ان لم يكن متخيلاً، وهو عقد اجتماع في القدس الشرقية يحضره رؤساء الدول في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والصين وفرنسا وبريطانيا العظمى وكذلك "اسرائيل" وسوريا والاردن ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينية، وفي صباح اليوم التالي التقى الرئيس مع موندیل وفانس وانا ... واتفقنا على ان اقتراح السادات لا يمكن ان يكون بناءاً وشعرنا جميعاً ان مثل هذه القمة ستكون عقيمة وستنفجر حول مشكلة م. ت. ف. وخشينا على السادات وتساءلنا عما اذا كان لم يفقد احساسه الواقعي)[40].

وليؤكد السادات واقعيته المتهالكة على الحل وباسرع ما يمكن وباي ثمن كانت رحلته الى القدس التي منها بدأ مسلسل التنازلات والتعري خطوة خطوة. لم يكن الامريكان منزعجين من خطوة السادات ومن كل ما حملته من القفز عن دورهم الآني في تطبيع العلاقات وصناعة السلام.. كان دورهم المستقبلي لا يزال محفوظاً. وقد بدأ بريجنسكي يعد سياسة جديدة بعيداً عن سياسة فانس واحلامه بتحقيق السلام الشامل عبر مؤتمر جنيف بدأ بريجنسكي يتحدث علناً عن استراتيجية الدوائر الثلاث التي تبدأ بتحقيق الاتفاق بين مصر واسرائيل ومن ثم التوسع في دائرة اكبر، تشمل الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وكذلك الاردنيين، واخيراً التحرك الى دائرة اكبر بمشاركة السوريين وربما السوفييت في تسوية شاملة [41].

كان بريجنسكي يؤمن جيداً ان مفتاح الحل الشامل يكمن في اسقاط مصر في احضان امريكا واسرائيل وتقليص الدور السوفييتي الى حد الغائه، ان امكن، فهو بطبيعة موقفه تجاه الاتحاد السوفييتي كان من ابرز تلاميذ كيسنجر في مدرسة الحرب الباردة وكانت استجابة السادات وخضوعه لارادة انصار هذه المدرسة هو ما جعله يقوم بالتخلي عن كل حلفائه واشقائه مفرطاً بموقفه القومي في سبيل استرجاع سيناء مكتفياً بترديد "ان الذي سبقني اضاع سيناء وانا استرجعها" هكذا كانت دائرة كامب ديفيد التي صممها بريجنسكي واغرق فيها السادات مانحاً اياه جائزة سيناء منقوصة السيادة ونصف جائزة نوبل.

لكن بريجنسكي فشل في الانتقال الى الدائرة الثانية، كان جذب السادات بعيداً عن العرب وعن السوفييت قد مهد له كيسنجر منذ زمن بعيد، وكما يقول مالكوم كير (فان الحقيقة البارزة تكمن في ان اقدام واشنطن على سلب السادات من السوفييت في مقابل مكافأة ملموسة، والذي قد بدأ في عام 1972، قد اعطى ثماره، اذ تحولت اكبر دولة عربية من حليف للسوفييت الى حليف لامريكا، واصبح امن اسرائيل مضموناً بسبب تفسخ الجبهة العربية، اما الاطراف العربية المتحاربة الاخرى فقد تركت وشأنها لتفكر ملياً في فشل السوفييت في القيام باي عمل يعود عليها بالنفع، اما المنطق المبطن في هذه الحجة، فهو انه اذا وقفت الولايات المتحدة بثبات للدفاع عن مصر واسرائيل، وكذلك عن الموارنة في لبنان على ما يبدو، فان السوريين والفلسطينيين سيعلمون في الوقت الملائم انهم لم يحصلوا على اية مكاسب الا بالتخلي عن موسكو والتوجه نحو واشنطن، وهم لن يحصلوا طبعاً على المكاسب التي يبتغونها اكثر من غيرهم، لكن على جوائز ترضية ترى واشنطن ان من الملائم ان تقنع اسرائيل لمنحهم اياها).

(ويمكن الافتراض ان ناحية مهمة من هذه الصفقة المزعومة تكمن في ان منظمة التحرير وحلفائها سيرضون باعادة بناء وتقوية النظام القديم الذي يسيطر عليه الموارنة، وربما مع بعض التعديلات الطفيفة لارضاء بعض الخواطر، والاعتراف الامريكي بالمنظمة قد لا يعتمد على قبول الفلسطينيين بقرار الامم المتحدة 242 فقط، بل ايضاً على التخلي عن فكرة انشاء دولة في الضفة الغربية)[42].

ولم يرضِ الفلسطينيين بجواز الترضية، كان الاصرار على تحقيق الحقوق المشروعة غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في العودة وتقرير المصيرواقامة الدولة الفلسطينية المستقلة هي القضية الكبرى في وجه محاولة جر الفلسطينيين الى دائرة بريجنسكي الثانية، ولم يتورع بريجنسكي في غمرة يأسه من عبور هذه الدائرة ان يصرخ غاضباً .. "وداعاً منظمة التحرير". واصبح واضحاً ان جوهر سياسة كارتر وادارته تكمن في محاولة تجريد منظمة التحرير من اسلحتها النضالية المكرسة لتحقيق الاستقلال الوطني والاصرار على (ان مستقبل الضفة الغربية وغزة يكمن في الارتباط الوثيق مع الاردن وان انشاء دولة فلسطينية مستقلة تأوي مشاعر تحررية ووحدوية في المنطقة لن يكون حلاً واقعياً)[43] وعلى الرغم من هذا الموقف الذي انطلق قبل كامب ديفيد من مقولة الحل الاقليمي مقايضة الارض مقابل السلام، الا ان السياسة الامريكية لم تصمد امام انهيار السادات وتهالكه في كامب ديفيد، مما جعل مصير الشعب الفلسطيني مرتبطاً بالاردن ومصر واسرائيل في اطار الحكم الذاتي الذي رفضه الشعب الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها باصرار شديد، وكان مفهوم بيجن للحكم الذاتي يتلخص كما وصفه فانس بالتالي (ستمنح اسرائيل الحكم المحلي او الذاتي للعرب الفلسطينيين في يهودا

و السامرة (الضفة الغربية) وغزة، حيث ينشأ مجلس اداري عبر انتخابات حرة يتولى مشاكل الحياة اليومية، وتحتفظ اسرائيل بالمسؤولية عن النظام العام والامن، وتحتفظ بثكنات عسكرية في المنطقة، وسوف تعلق اسرائيل دعواها بالسيادة على يهودا والسامرة لمدة خمس سنوات، وفي نهاية الفترة ستعيد اسرائيل النظر في الترتيبات لترى كيف جرت في التطبيق)[44].

كان الخلاف واضحاً بين المنظور الاسرائيلي للحكم الذاتي وبين المنظور الامريكي له. فاسرائيل تنطلق في فهمها من خلال ترجمتها لقرار مجلس الامن 242 بانه لا يتطلب الانسحاب على جميع الجبهات، في حين ترى امريكا عكس ذلك، وفي محاولة لجر الاردن الى عبور دائرة كامب ديفيد فسّر له الامريكيون مفهومهم للحكم الذاتي ولدور الاردن فيه وقد جاء ذلك التفسير على شكل رسالة ترد على تساؤلات كان الملك حسين قد طرحها على فانس الذي لخص الاجوبة على الشكل التالي:

(انه في ظل اتفاقية كامب ديفيد، سيتقرر مصير الضفة الغربية وغزة في مفاوضات بين الاردن ومصر واسرائيل وممثلين ينتخبهم سكان المنطقة، وان هذه المفاوضات ستعرض في تصويت على الممثلين المنتخبين ليصدقوا عليها او يرفضوها وان وجهة نظرنا هي ان السيادة النهائية تعود الى سكان الضفة الغربية وغزة وانهم سيعبرون عن ارادتهم حول الوضع النهائي للمنطقة عن طريق هذا التصويت، بكلمات اخرى، موقف الولايات المتحدة هو ان سكان الضفة الغربية وغزة يجب ان يشاركوا في الخطوات التي ستقرر مستقبل المنطقة، بما في ذلك مسألة السيادة.

واوضحت الاجوبة ان الاتفاقين يقضيان بان سلطات الحكم الذاتي اثناء الفترة الانتقالية سيجري التفاوض عليها بين اسرائيل ومصر والاردن، اذا وافقت على الانضمام. وهكذا فان سلطة الحكم الذاتي ستنشأ باتفاق دولي، وستحدد الدول الثلاث سلطات تلك الهيئة وليس اسرائيل وحدها.

ولاسباب جرى شرحها، لم تذكر الاتفاقيتان القدس، لكن موقفنا الذي اكده خطاب كارتر للسادات والذي كتب في وقت واحد الاتفاقيتين، هو ان القدس الشرقية ارض محتلة. ومع ذلك، فاعترافاً بالشخصية الدينية الخاصة للمدينة، نستطيع ان نتصور وضعاً نهائياً لها مختلفاً عن وضع الضفة الغربية، واننا نعتقد انه اياً كان الحل الذي ينتج عن المفاوضات في المستقبل، فانه يجب ان تبقى المدينة غير مقسمة عضوياً، وان يقضى بالوصول الحر الى الاماكن المقدسة للديانات الثلاث، وان يضمن الحقوق الاساسية لسكان المدينة. واننا سنؤيد الاقتراحات التي تسمح لسكان القدس الشرقية العرب بان يصوتوا في انتخابات سلطة الحكم الذاتي، لكننا نعتقد انه من غير المحتمل ان تمتد سلطات سلطة الحكم الذاتي الى

القدس الشرقية اثناء الفترة الانتقالية.

لم تذكر الاتفاقيتان المستوطنات، رغم اننا كما هو ملحوظ، نعتقد اننا حصلنا على الالتزام من بيغن بان يلتزم بتعليقها اثناء مفاوضات الحكم الذاتي، ان موقف الولايات المتحدة المستقر حول المستوطنات هو انها تتعارض مع القانون الدولي وانها عقبة في طريق السلام. وتبقى وجهة نظرنا انه اثناء المفاوضات المطلوبة لاقامة سلطة الحكم الذاتي على اسرائيل ان تمتنع عن انشاء اي مستوطنات جديدة.

اما عن مستقبل اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون خارج الضفة الغربية وغزة، فنعتقد انه يجب ان يكون لهم حق التوطن حيث هم، اذا اختاروا ذلك، ونتوقع ان العلاقة بين سلطة الحكم الذاتي وبين الفلسطينيين الذين يعيشون خارج الضفة الغربية وغزة سوف يجري بحثها في محادثات الحكم الذاتي، وان موقفنا انه لا احد من سكان الضفة الغربية وغزة يكون قد قبل اطار كامب ديفيد يمكن استبعاده من التصويت في انتخابات هيئة الحكم الذاتي او من تولى الوظائف الرسمية بسبب انتمائه او انتمائها السياسي.

وحتى لا يستخلص خطأ ان مصلحتنا الوحيدة في الاطار الذي قدمته اتفاقيتا كامب ديفيد هي اقامة ترتيب الحكم الذاتي للضفة الغربية وغزة، اوضحنا في اجوبتنا الى الملك حسين ان الهدف المعلن للاتفاقيتين هو سلام عادل وشامل وتسوية دائمة لصراع الشرق الاوسط عن طريق ابرام معاهدات صلح تقوم على قراري مجلس الامن 242 و 338 بكل اجزائهما، واننا ندرك ان هناك تفسيرات مختلفة لقرار 242 على الجانبين خصوصاً حول ما اذا كان القرار 242 يتطلب انسحاباً على "الجبهات جميعاً" وقلنا ان الولايات المتحدة ستقف الى جانب موقفها المستقر في تفسير هذا الامر: ان 242 يتطلب الانسحاب على الجبهات جميعاً)[45].

هوامش

1. .1..المصدر السابق ص46.
2. .QUANDT. IBID. P.185
3. سايروس فانس المصدر السابق ص52.
4. وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) بيروت 9 اوت 1977.
5. .QUANDT. IBID P.100-101
6. .BRZEZINCKI IBID. P.107
7. (وفا) بيروت 27 اوت 1977.
8. .BRZEZINCKI IBID. P.107
9. اسماعيل فهمي التفاوض من اجل السلاح في الشرق الاوسط مكتبة مدبولي 1985 ص293.
10. المصدر السابق ص299.
11. .QUANDT. IBID. P.107
12. اسماعيل فهمي المصدر السابق ص324-305.
13. .BRZEZINSKI IBID. P.107
14. .IBID. P.110
15. .IBID. P.111
16. .IBID. P.108
17. موشيه دايان، انا وكامب ديفيد، دار الجليل 1987 ص73.
18. .BRZEZINSKI IBID. P.108
19. موشيه دايان، المصدر السابق ص73.

20. BRZEZINSKI IBID. P.111.

21. IBID. P.113.

22. مالكوم كير السياسة الامريكية في الشرق الا وسط/كيسنجر كارتر والمستقبل مؤسسة الدراسات الفلسطينية سلسلة الدراسات رقم 67 ص193.

23. سوندرز، شهادة امام مجلس الشيوخ 1978 مجلة الثورة عدد 39-40 ص37.

24. فانس، المصدر السابق ص69.

25. المصدر السابق ص121-122